الرسالة

(أفسس ٢: ٤–١٠)

يا إخوةُ إنَّ الله لكونِهِ غنيًّا بالرحمةِ ومن أجلِ كثرةِ محبتهِ التي أحبَّنا بها* حينَ كنَّا أمواتًا بالزلّاتِ أحيانا مع المسيح. (فإنَّكم بالنِعمَةِ مخلَّصون)* وأقامَنا معهُ وأجلَسنا معهُ في السماويَّات في المسيحِ يسوع* ليُظهِرَ في الدهورِ المستقبَلَةِ فَرطَ غِنى نِعمَتِهِ باللطفِ بنا في المسيحِ يسوع* فإنَّكم بالنعمةِ مخلَّصونَ بواسِطةِ الإيمان. وذلك ليسَ منكم إنَّما هو عطيَّةُ الله* وليسَ من الأعمالِ لئَلّا يفتخِرَ أحدٌ* لأنَّا نحنُ صُنعُهُ مخلوقَين في المسيحِ يسوع للأعمالِ الصالحةِ التي سَبَق اللهُ فأعدَّها لنسلُكَ فيها.

الإنجيل

(لوقا ١٨: ١٨–٢٧)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ إنسانٌ مجرِّباً له وقائلاً أيُّها المعلّمُ الصالحُ ماذا أعمَلُ لأرِثَ الحياةَ الأبديَّة* فقال له يسوعُ لماذا تدعوني صالحاً وما صالحٌ إلاَّ واحدٌ وهو الله*

النبي حبقوق

تُعيِّد كنيستنا المقدسة في الثاني من كانون الأول للنبي حبقوق، أحد أنبياء العهد القديم، الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد. في صلاة السَحَر خلال الفترة الفصحية، ترنّم الكنيسة المقدسة قائلة: «لِيَقِف معنا على المَحرِس الإلهي، حَبَقوق المُتَفَوِّه بالإلهيات، ولْيُرِنا الملاك المُتَّشِح الضيَّاء قائلًا جِهاراً: اليومَ خلاصٌ للعالم، لأنَّ المسيح قد قام، بما أنَّه على كلِّ شيءٍ قدير». لعلّها من المرّات القليلة التي يُذكر فيها اسم النبي حبقوق في النصوص الليتورجية. هو ثامن الأنبياء الإثني عشر الصغار، معنى اسمه المُحتضِن أو المُعانِق. نكاد لا نعرف شيئاً عنه شخصياً باستثناء ما يُستنتج من عبارة يختم بها سِفره «لرئيس المُغَنّين على آلاتي ذوات الأوتار» (حبقوق ٣: ١٩). أنه كان أحد مرنّمي الهيكل، وبالتالي متحدّراً من سبط لاوي. أما عبارة «المَحرِس» فمعناها المرصَد أو المِرقَب، وقد اقتبست الليتورجيا هذا المشهد من الآية التي يفتتح بها النبي إصحاحه الثاني إذ يقول: «على مرصدي أقف، وعلى الحصن أنتصب، وأنتظر لأرى ماذا يقول لي (الرب) وماذا أجيب على شكواي» (٢: ١).

العدد ٤٨/ ٢٠١٦

الأحد ٢٧ تشرين الثاني

تذكار القديس العظيم في الشهداء

يعقوب الفارسي المقطّع

اللحن السادس

إنجيل السَحَر الأول

نعود إلى سِفر حبقوق. تقودنا الإشارة إلى الكلدانيين كأمّة سوف يملّكها الله على «مساكن ليست لها» (١: ٦) إلى تحديد أواخر القرن السابع قبل الميلاد كزمن إعلان نبوءة حبقوق، وهي الحقبة التي تمكّن الكلدانيون أو البابليون الجُدُد خلالها من تحطيم امبراطورية أشور وصولًا إلى تثبيت سيطرتهم على كامل الشرق الأدنى. كلّ قسم من أقسام سِفر حبقوق يلائم مرحلة من مراحل التمدُّد الكلداني، ما يدل على ان تأليف السفر لم يُنجَز مرة واحدة بل امتدّ في الزمان. وتشير صيغة الحوار في الإصحاحين الأول والثاني، وصيغة النشيد في الإصحاح الأخير، إلى طابع القصائد الطقسية للنبوءة، أي المزامير التي كانت من صُلب الاحتفالات الطقسية. من هذا الطابع الطقسي يُفهم أنه عندما أنشأ حبقوق كتابه كان هيكل أورشليم ما زال قائماً، ودمار الهيكل كان سنة ٥٨٦ قبل الميلاد.

القديس إيرونيموس، أحد أبرز شرّاح الكتاب المقدس، سمّى النبي حبقوق «النبي المصارِع» إذ رآه مصارعاً الله كمثل يعقوب في سِفر التكوين. ذلك أنه في مطلع السِفر يشكو فساد الشعب إلى الله (١: ٢-٤)، ثم في ندائه الثاني (١: ١٢-١٧) نراه يشكو بمرارة قسوة تأديب الله، إلى الله نفسه! لذا فالتصميم العام لنبوءة حبقوق، كما أشرنا أعلاه، يعكس في الشكل ما في مضمون النبوءة من معانٍ وشهادة. الشهادة هنا هي شهادةُ المؤمن حين يجد نفسه، بعدما عجز كلّياً عن فهم تدبير الله وحكمته، يشتكي إلى الله نفسه لأنه لم يفهم تدبيره. نحن غالباً، في الصعاب، نئنّ مما نظنّه غياب الله عنا، ثم نعود فنئنّ إن تدخّل الله بما لا يلائم محدودية رغباتنا. في الحالتين تنقصنا الأمانة، التي هي الإيمان بأن الله يبقى أميناً لمحبته، أي ملتزماً إياها وصادقاً فيها، في كل الأحوال. «أُكتبْ الرؤيا وانقُشها على الألواح لكي يركض قارئها، لأن الرؤيا بَعدُ إلى الميعاد، وفي النهاية تتكلم ولا تكذب. إن توانت فانتظرْها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر... والبار بإيمانه يحيا» يقول الربُّ مُجيباً حبقوق على شكواه الثانية (٢: ٢-٤). فحوى هذا الكلام أن تمسَّكْ أنت بإيمانك بالله، باتكالك على أمانته، فتُحسَب أمامه باراً وتكون في التجارب منتصراً. هذه الفحوى يصوّرها بروعة النشيد الذي يُنهي سِفر حبقوق إذ به ينتقل النبي من نبرة الشكوى والقلق إلى نبرة الابتهاج بخلاص الرب الحاصل في كل الأحوال، بالأمس واليوم وغداً. «يا رب عملك في وسط السنين أحيِه، في وسط السنين عرِّف» (٣: ٢)، «فمع أنه لا يُزهر التين ولا يكون حمل في الكروم، يكذب عمل الزيتونة والحقول لا تصنع طعاماً، ينقطع الغنم من الحظيرة ولا بقر في المذاود، فإنّي أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصي» (٣: ١٧-١٨). ثمة دلائل كثيرة في حياة الكنيسة تشير إلى أن المؤمنين غالباً ما استعانوا بسِفر حبقوق في الأزمنة القاسية، وكانوا بها يتشددون. ولا سيما معادلة الأمانة للإيمان بالله التي تنقل المؤمن من حال القلق والشكوى إلى حال اليقين والفرح بخلاص الرب الحاصل لا محالة، حتى إن القديس الرسول بولس يستعيدها في رسائله إلى الرومانيين (١: ١٧) وإلى الغلاطيين (٣: ١١) وإلى العبرانيين (١٠: ٣٨).

اليوم إذاً، ونحن نرنّم هذه الترنيمة الفصحية، نُعلن شهادتين: الأولى إيماننا بأننا انتقلنا، بواسطة فداء المسيح، من حال القلق والشكوى والفساد إلى حال الفرح بخلاص الرب، والشهادة الثانية أن نحفظ بأمانة مواعيد الله وإعلاناته مهما اشتدت علينا الظروف، وأن لا ننسى أبداً أن «الرب السيد قوتي، يجعل قدمَيَّ كالأيائل، ويمشّيني على مرتفعاتي» كما ختم النبي حبقوق كتابه (٣: ١٩).

القديس بورفيريوس الرائي

تعيّد كنيستنا المقدسة في الثاني من كانون الأول لأبينا البار بورفيريوس الرائي الذي من خلال سيرته، نرتوي من غنى أقواله في حياتنا الروحيَّة. ولد قديسنا في ٧ شباط ١٩٠٦ في بلدة إيفيا اليونانيَّة. في الثانية عشرة من عمره ترك العالم وذهب سرًّا إلى

إنَّك تعرِفُ الوصايا لا تزنِ. لا تقتُلْ. لا تسرِقْ. لا تشهَدْ بالزور. أكْرِمْ أباك وأمَّك* فقال كلُّ هذا قد حفِظْتُهُ منذ صبائي* فلمَّا سمِعَ يسوعُ ذلك قال له واحدةٌ تَعوزُك بعدُ. بِعْ كلَّ شيءٍ لك ووزِّعهُ على المساكين فيكونَ لك كنزٌ في السماءِ وتعالَ اتبعْني* فلمَّا سمعَ ذلك حزِنَ لأنَّه كان غنيًّا جدًّا* فلمَّا رآهُ يسوعُ قد حزِنَ قال ما أعْسَرَ على ذوي الأموالِ أن يدخلوا ملكوتَ الله* إنَّهُ لأسهلُ أن يدخُلَ الجَمَلُ في ثَقبِ الإبرَةِ من أن يدخُلَ غنيٌّ ملكوتَ الله* فقال السامِعون فمن يستطيعُ إذاً أن يخلُصَ* فقال ما لا يُستطاعُ عند الناسِ مُستطاعٌ عندَ اللهِ.

تأمل

«الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبّته الكثيرة التي أحبّنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم مخلّصون» (أف ٢: ٤-٥).

ليس الله رحيماً فحسب بل هو «غنيّ في الرحمة». ويقول في مكان آخر

«حسب كثرة رحمتك» (مز ٦٨: ١٦). بحسب «محبّته الكثيرة التي أحبّنا بها». أين أحبّنا كثيراً؟ لم تكن أعمالنا السابقة الخاطئة تستحق محبّته بل غضبه وعقاباً كثيراً. ومع ذلك أحبّنا بداعي رحمته الكثيرة. «كنا أمواتاً بالخطايا فأحيانا مع المسيح». هنا أيضاً يأتي المسيح وسيطاً والأمر جدير بالاهتمام والثقة. طالما أن الرأس يحيا فقد أحيانا معه. أرأيت عظمة قدرة الله علينا نحن المؤمنين؟ كنا أمواتاً، أبناء الغضب فأحيانا. أرأيت عظمة رجاء الدعوة؟

«وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع» (أف ٢: ٦). أرأيت غنى الميراث المجيد؟ نحن نعلم أنه أقامنا معه لكن كيف «يجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع؟». كما أقامنا معه هكذا أيضاً أجلسنا معه. لأنه لم يقم بعد أحدٌ من البشر بل قام الرأس فقط ونحن معه. يجلس الرأس فيجلس معه الجسد كله. لذلك أضاف «معه» أي مع المسيح. يقول الرسول بولس: «إن كنّا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه. إن كنا نصبُر فسنملك أيضاً معه« (٢ تيمو ٢: ١١-١٢).

حقاً نحن بحاجة إلى إلهام الروح القدس لإدراك عمق هذه الأسرار.

الجبل المقدس، آثوس، وأصبح راهباً هناك في الرابعة عشرة من عمره. سامه رئيس أساقفة سيناء بورفيريوس كاهناً سنة ١٩٢٦وهو في العشرين من عمره. رقد على رجاء القيامة صباح الثاني من كانون الأول ١٩٩١، وأعلنت البطريركية المسكونية قداسته في السابع والعشرين من تشرين الثاني ٢٠١٣.

يعتبر القديس بورفيريوس مثالاً عن التواضع والوداعة والمحبة. منحه الله نعمة رؤية أفكار الناس وأعماقهم دون أن يتكلموا بها، وكثيراً ما كان يرى ويعرف أموراً ومشاكل تحصل في أماكن بعيدة ويساعد في حلّها بطريقة عجائبيَّة. وكان ينسب أعماله إلى الله معتبراً نفسه مجرَّد وسيط لا أهميَّة له، وأداة بين يدي الله.

إهتمَّ البار بورفيريوس بكل من كان يقصده دون أي تمييز، مظهراً محبَّته الكاملة والصادقة. هذا ما علَّمه لتلاميذه أيضاً. فقد كان دائماً يشدّد في أحاديثه الروحيَّة على أن المحبة هي فوق كل شيء. «ما ينبغي أن يشغلنا هو محبَّة الآخر، والاهتمام بخلاص نفسه. مهما فعلنا من صلاة أو نصائح أو إرشادات فلنفعل ذلك بمحبة. بدون المحبة، الصلاة لا تنفع والنصيحة تجرح والإرشاد يؤذي ويحطم الآخر. هو يشعر إن كنا نحبه أم لا، ويقابلنا على هذا الأساس. محبة، محبة، محبة! محبة القريب تدفعنا كي نحب المسيح أكثر».

هدف الإنسان في هذه الحياة محبة المسيح ومحبة القريب لنصبح جميعاً واحداً ورأسنا هو المسيح. يقول البار بورفيريوس: «محبة الأخ تنميّ المحبة نحو الله. نكون سعداء عندما نحب كل الناس سرياً، عندئذٍ، سنشعر أن الجميع يحبوننا. لا أحد يمكنه أن يصل إلى الله إذا لم يعبر من خلال البشر، لأن «من لا يحب أخاه الذي يراه كيف يستطيع أن يحب الله الذي لا يراه؟» (١يو٤: ٢٠).

يعلّمنا البار بوفيريوس كيف يجب علينا أن نحب: «فلنوزع محبتنا على الجميع بلا تمييز، بغضّ النظر عن مواقفهم؛ لتكن المحبة بلا غش، محبة الله وحدها هي المحبة بلا غش؛ أحبَّوا الجميع وتعاطفوا مع الجميع؛ فلنحب الجميع ولنضحِّ بأنفسنا من أجل الجميع، بلا مقابل، دون أن نطلب تعويضاً. المحبة التي تطلب مقابلاً هي محبة المصلحة، وليست محبة نقية صافية لا غش فيها».

الصلاة من أجل الآخرين بالنسبة للقديس بورفيريوس هي عمل محبة أيضاً: «يجب أن لا يغيب الآخر عن صلاتنا، ... الصلاة من أجل الآخرين، الصائرة برفق ومحبة عميقة، هي صلاة متجردة عن كل مصلحة، فيها نفع روحي كبير. إنها تبهج المصلّي وتُسِرّ أيضاً من تصلّي من أجله، إنها تجلب إليه نعمة الله. صلّوا من أجل طهارة كل إنسان، كي تتشبهوا بالأسلوب الملائكي في حياتكم».

المحبَّة الطبيعيَّة قد تؤذي الإنسان أحياناً على عكس تلك المحبة التي في المسيح يقول البار، إذ إنَّ هذه الأخيرة «تترافق مع الصلاة وقداسة الحياة. هذه المحبة تقدِّس الإنسان وتجعله في سلام، لأنَّ الله محبة». لذلك نرى القديس يشدّد دائماً على أن نحيا ضمن محبة المسيح كي نستطيع مساعدة الآخرين ومساندتهم. فبالصلاة «نعمة الله تطهِّر آفاق ذهنه (الإنسان الآخر)، وتؤكّد له محبة الله. هنا تكمن الدلالة الدقيقة، فإذا قَبلَ بأن الله محبة، عندئذٍ سيفيض فيه نور لم يسبق أن رآه، وهكذا

سيجد الخلاص».

عسى أن يتقبّل الرب الإله بشفاعات أبينا البار بورفيريوس صلواتنا وتضرعاتنا ذبيحة لدى منبره المرهوب، وأن يتغاضى عن كل خطايانا ويؤهّلنا لسكنى ملكوته.

في ما يلي بعض أقوال أبينا البار بورفيريوس:

+ الفرح هو المسيح بالذات، إنه فرح يجعلك إنساناً آخر. إنه جنون روحي ولكن في المسيح، يُسكرك كالخمر الصافي، بحسب قول داوود: «مسحتَ بالدهن رأسي وكأسك تسكرني كالخمر» (مز ٢٣: ٥). الخمر الروحي هو خمر صافٍ لا غشَّ فيه، قوي جداً، عندما تشربه يُسكِرك. هذا السكر الإلهي هو عطيَّة من الله، يُمنح «لأنقياء القلوب» (متى ٥: ٨).

+ صوموا قدر ما تستطيعون، إصنعوا ما أمكنكم من السجدات، وتمتَّعوا بما تشاؤون من السهرانيات. ولكن كونوا فرحين. إمتلكوا فرح المسيح، إنه فرح يدوم إلى الأبد، وبهجته أبدية. إنه فرح ربنا الذي يعطي الهدوء الأكيد والابتهاج الهادئ، والسرور الكلي الطرب. إنه الفرح الذي يفوق كل فرح. إن المسيح يريد ويُسَرُّ في أن يتعمَّم الفرح، وأن يغتني المؤمنون به. أتمنى أن «يكون فرحكم كاملاً» (١ يو ١: ٤).

+ هذه هي ديانتنا، وإلى هناك ينبغي أن نتوجه. يا أبنائي، إن المسيح هو الفردوس. ما هو الفردوس؟ إنه المسيح. من هذه الحياة يبدأ الفردوس. كلُّ مَن يحيا في المسيح هنا على الأرض، يحيا الفردوس. إن هذا الأمر هو صحيح وحقيقي، صدّقوني! عملنا هو أن نحاول إيجاد طريقة ندخل فيها إلى نور المسيح، لا أن نمارس الشكليات. الجوهر هو أن نكون مع المسيح، أن تستيقظ النفس وتحب المسيح، أن تصبح مقدسة، وأن تنصرف بكليّتها إلى العشق الإلهي. هكذا سيحبُّنا هو أيضاً، وعندئذٍ سيكون الفرح لا يوصف.

+ هذا ما يريده المسيح بالأكثر، أن يملأنا من الفرح، لأنه هو ينبوع الفرح. هذا الفرح هو عطيَّة من المسيح، وضمن هذا الفرح سوف نعرف المسيح. لا يمكننا أن نعرفه إذا لم يعرفنا هو أولاً. ماذا يقول داود؟ «إن لم يبنِ الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون، وإذا لم يحرس الرب المدينة فباطلًا يسهر الحارسون» (مز ١٢٦: ١).

تذكار البار بورفيريوس الرائي

بمناسبة تذكار أبينا البار بورفيريوس الرائي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الخميس ١ كانون الأول في كنيسة القديس نيقولاوس.

وخدمة السَحَر عند التاسعة والقداس الإلهي عند العاشرة من صباح الجمعة ٢ كانون الأول في كنيسة أبوينا البارين أنطونيوس الكبير وبوفيريوس الرائي في دار المطرانية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

ويضيف: «ليُظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع» (أف ٢: ٧).

يقول هذا الكلام كله حتى لا نشكّ. تكلّم أولاً عن المسيح وظهر كلامه وكأنه لا يخصّنا. ربّ قائل ماذا أنتفع أنا إذا قام المسيح؟ لذلك يجتهد الرسول في إظهار ارتباط قيامته بقيامتنا. لأن المسيح واحد معنا بل أكثر من ذلك. يُضيف أنه يتكلم من أجل خلاصنا نحن. يقول: «ونحن أموات بالخطايا أقامنا معه وأجلسنا معه في المسيح يسوع». أقول هذا كله حتى لا تشكّوا. فقد أخذتم البرهان ممّا سبق وحصل مع المسيح، من كونه أيضاً هو رأس الجسد وممّا يريد أن يظهره من صلاح.

ماذا سوف يظهر لنا من صلاح في الدهور الآتية؟ أن خيراته عظيمة وأنها تدعو دائماً إلى مزيد من الإيمان، أنها جديرة بالثقة أكثر من أي شيء آخر. ما يُقال اليوم (عن قيامة المسيح وقيامتنا معه) يبدو بالنسبة لغير المؤمنين جهالة، أمّا حينئذٍ (في الدهور الآتية) فسوف يعترف الكل بها.

القديس يوحنا الذهبي الفم